

تريدُ السقوطَ حينَ تَلقائِها، ورقةُ الخريفِ

بِكَأَبِ قَطْبَانَ *

بعد القصف
تخفي قطعة فحم
لرسم المدينة

واللوز يزهر:

هناك من يؤلف الأغاني
وهناك من يقطع الزقاب

«في هذا الوادي

مات الإمبراطور العظيم» -

ولا كلمة واحدة عن الجند

العائد من الحرب بنصف فم

كلما قال كلمة

مرّقتها نفس القذيفة

خبر عاجل،

أوقفوا الأرض

أريد أن أنزل

بساقه اليماني

يقفز الجندي الغتي

إلى ساقه الخشبية

خفيف أوراق الثّوت

بينما تخلع

فقطانها

مُستلقية في حوض نَعناع

قدّماتها في الساقية

تُذبيان القمر

مُنذ شفتيك

خنات الفأولة

لا تُكف عن الترفرة

مروّحتها اليابانية

الطواويس، ذُهايا وإيابا،

تلهُو بخضلات الذهب

على فمها الذي يقول لا

ضوء الشمس

يقول نغم

خفيف فُقطانها،

فريد لكايهيه
«القدس»
(اصباح على
جلد، 1994)

أبداً لِمَ يَكُن بهذا التوجّه
البرُتغال على المائدة؛

أوراق الزيزفون،

في قلبي قلوب كثيرة

وافرة واحدة

اشدُّ حُرناً من عُصن الخَريفِ

تنهيدة العُجُوذ النُحلِ

وَرَاء تَنوُّرة النَّادِلَة

متجر الألعاب،

طفلاً يَحْمِلُ زرافة

وإثيسامتي قُبَل ثلاثين عاماً

عندمَا أَصْبِقُ عُثني

الجِرَافَة البعيدة البعيدة

خُنُفِساء تَكُوْزُ التَّلحِ

وجيدٌ كهذه الزّهرة

في الخُفّ الضيق المُنثوي

لِمَهريةِ المنششفى

بابُ الكازينو،

المقاميرُ يَرعَلُ الرِّيحِ

والريحُ تُصَفِّعُه

أمامَ بِنَلائِها الهَشَة

لا أُحِرُّو حَتّى عَلَي النَطَقِ بِاسمِها

زَهْرَة الـ

هذا الصباح

اخفئني كوكب هائل في المجرة

صفيحة القمامة أيضاً

كألفها من حُسب

لنكُ التائوت تائبوت

والببائو يحلقُ

مُننّه السامسونغ

بدلاً من صباح الذبك

يا للصبح الملقق!

يا لقلّتي

أمام هذا الكئيّر

من فلال الحديفة؛

عائداً من المَخْتِ

بُرْتغالةٍ مِن أُمّي

أعادتُ تَزيِبة الضالّة

مساءً خريفِي-

في صُندوقِ البرِيدِ

ورقة بنولا

توقّف المطر

والمظلة مفتوحة لا تزال

فوق رأس العُجُوذ

حَتّى الهابكو

يبدو طويلاً جداً أمامك

يا تنورة النّادِلَة؛

قُبَلتِها في الهواء؛

بسُرعة أنزع قفازِي

لإلتقاطها

صرت مثلاً يا ربح المدينة:

عجّزت عن المعطف

فاخَذتِ القَبِعة

أتبّتها النّقّاحة

أبَكنَّها يَنصُحُ الإنّ في الحقيفة

أنتِ أَمْ سقُوطك؟

مثلّ أصابعي

مرتعشا يَزُجِف سُغاع الخَريفِ

على لوحة المغاتيح

لمأذا تُغفَس ريشك هكذا

أبيها الطّاووس

وكانك تُعرِف الحَقيقة؟

على جُدُع الشجرَة العارية

مُمللاً قليلاً بالمطر

إِغْلانُ طِفلةٍ مَققودة

صُناب الفجر-

من اللانهاية

يُخرِج قطار السادسة

موضّة الصليب

في فتحة صُدْرها-

أبانا الذي في شُبُاكِ المَذاكِرِ

لقمةً من خبزِ وجهِها

زياد حدّاش *

البيت التي هربت من بيتي في الواحدة
ليلاً، حدثت صديقاتها عني مفروعة:
«يا لخرابة هذا الرجل، بينما كنت
أفتش في شفتيه عن نبيذ أو قرون غزال
تعثرت بمدينته!».

ذهبت إلى البنك لغرض أخذ قرض
صغير، سلّمني الموظف طلباً لتعبئته،
حين هممت بكتابة اسمي فوجئت أنني
نسيته هناك، لم يصدقني موظف البنك
حين قلت له إني نسيته اسمي بالقرب
من موجة على شاطئ عكا أمس، فلنّني
مجنوناً.

جلست على صخرة، وقصرت فحاة
أن أسبح بملايسبي لأنني أخجل من
بدايتي، أخرجت بطاقة هويتي واسمي
ووضعتهما على حجر صغير بالقرب
من موجة صغيرة خفيفة، وحين خرجت
من البحر، كانا قد اختفيا.

استغرب الموظف - لكنت تبدو سعيداً
وتتكلم وأنت ميتسم. كانك غير غاضب
على البحر الذي ابتلع هويتك واسمك.

- بحر عكا لم يبتلع هويتي واسمي، هو
استرجعهما فقط

ثملاً جداً في طريقي إلى جنازة صديق
بلا مال أو حساب على الفيس بوك، بلا
موهبة ومهنة وحببية.

هكذا أوصاني صديقي الذي لا يعرفه
أحد سوى، صديقي الذي لم يصاحب
في حياته سوى الكلاب وديستوفسكي
والفرويدكا: إذا حدث أن مت، تعال ثملاً
جدداً إلى جنازتي، لا تكف في صف
المعزين القليلين، أضحك قليلاً إن شئت،
ولكن بعيداً عن عيون امي. لا تفرع من
وجود الكلاب في الجوار، كن جداً بعيداً
عني حتى أراك، وادافع عن كلابي فيما لو
تم زجرها، ولا تصافح إلا أُمّي.

اشتقت لسَيّ مريم، قبل سبعة وعشرين
عاماً، ماتت أمامي متأثرة بحريق شب
في ذكرياتها ذات صيف، آخر كلماتها
لي في لحظة صحو مهولة كانت: «بر
بالك على النُعنات يا سَيّ»، ثم سقطت
في الغياب، ولم أعرف حتى اللحظة هل
كانت، تُقصّد نعنعات قريبتها المسروقة
«بيت نبالا»، أم نعنعات حوضها
الترابي الخفيف على سطح غرفتها في
المخيم.

دون قصد وقعت على وجهي لقمة من
خبز وجهها، فقفّز من قلبي كل جوى
العالم.

حين ترى امرأة ترقص وحدها تحت
الثلج ليلاً، أبداً فوراً بالثلك في جدوى
الفنون.

حين تقول لك صديقتك السعيدة،
المجنونة: - أين مرحاضك، أريد أن أقوم
بشؤوني الجسدية الخاصة.

تذكر أن الدموع قد تكون من ضمن هذه
الشؤون الخاصة.

وحيد مثل قسرة، ولا يكفيني أن أضع
راسي على كتفك... أريد أن أصبح كتفك.

لأن غيمة قالت لي وهي تلعب الغميضة
مع الشمس على سطح بيتي: - لا تذهب
اليوم إلى المدرسة. كان هذا ردي على
سؤال مديري على الهاتف: - لماذا لم
تحضر اليوم يا زياد إلى المدرسة.

تعودت منذ طفولتي البعيدة أن أصدق
كائنات اثنين فقط: امي والغيمة. امي لأن
لها قلب نبي، والغيمة لأن لها قلب إله.

أغلق المدير الهاتف في وجهي غاضباً،
وفتحت الغيمة لي قلب العالم.

في مركز نجاحيل أطفال الاحتياجات
الخاصة، بينما كنت أُرور أختي غادة،
لاحظت صديفة في الخامسة عشر من
عمرها، تروح ونجسي ضاحكة بشكل
هستيري في العمر وتطلق من فمها

أصوات قبالات موجهة إلى الفراغ، حين
حادثتني استوقفتها وسالتها: لمن
تطلق قبلاتك يا صغيرتي؟ فنظرت
إلي نظرات مخنوقة، مذهولة ومضت
دون كلام، سألت المرشدة عنها فقالت

لي إن لا أحد يزورها من العائلة، وأنها
تتمضي وقتها تقتل الموظفين، وتطلب
من الموظفين أن يقلبها. مضيت إلى
بيتي، مؤمناً بأن مرض العالم يتلخص
في غياب القبالات، رحت في الطريق
الناس ينظرون إلي ضاحكين، لكني لم
أكثرن وواصلت رمي قبالاتي في الفراغ،
فتمتدّ حد باردة وحزين يطل من شباك
بعيد بانتظار حركة شفاه خفيفة.

عشرون رسالة قصيرة إلى أجمل النساء
المنتحرات:
(إلى سليفيا بلات الفلسطينية)

1. ماذا أفعل بجفتك أينها المنتحرة
العزيزة، الممددة على بلاط حمامي في
هذا المساء الفلسطيني البارد؟ ثم ما
هذه الجوارب الجديدة التي تلبسينها؟

الم تنفق على التقشف؟
2. ماذا يعني يا عزيزتي أن تتركني
بجانِب جفثك دميمة أطفال نائمة أو ميمة
مثلك؟

3. لماذا انتحرت؟ قلت لي إنك ذاهبة لتفقد
الإنفاس الأخيرة لأنني النسر الجريحة
التي دخلت بيتنا بالخطأ فارتطمت

بالزجاج وقعت شبه ميمة. حين جئت
أبحث عنك في الغرفة السفلية، كنت أنت
ميمة ولم تكن هناك أنتي النسر أبداً،
الغريب أن الغرفة نفسها اختلف أيضاً.

4. ثم ما هي الخيانة يا عزيزتي المنتحرة؟
أنا لا أفهم غضبك، أنا لم أفعل سوى أنني
دعوت صديقك إلى نصي لتقيم هناك.

5. لم أعرف أن الشخص اللطيف الذي
ربت على كفتي الحزين في الكنيسة
المهجورة هو يهودي. كنت أقف
يا عزيزتي المنتحرة تحت اسمينا
المحفورين قبل عشرين عاماً، أعلى
الجدار العتيق والسمين، أتذكرين؟ يوم
حسرتنا مندبلاً أبيض في شق الجدار،
وفجأة طارت أنتي النسر من الشق،
وسقطت ميمته على كتفك، ابتسمت
أنا، وخفت أنت. منذ تلك اللحظة أنت
تغيرت. لم أكن ساحراً صديقيني.

6. جميل منظرك وأنت ميمة عزيزتي
على الأقل بهذا الشكل الصامت والثابت،
أستطيع أن أعد شعر راسك كما أقسمت
أن أفعل دون أن تضجري مني. وأن أقبلك
في المناطق التي لا تخبين أن أقبلك فيها.

7. من سيقراً قصصي بعد الآن بطريقتك
الغريبة التي أحبها أينها الميمته الأنيقة
الممددة في حمامي، حين أسقطت في
الإنشاء تطريدبيني من البيت، فاضطر



فريد بلقايشيه – «سوق»، (رنت على قماش، 1993)

كان قبل آلاف السنين دودة وإنه ثابر
وناضل حتى صار نَسراً. ولكن ما علاقة
هذا بانتحارك أينها الجثة الممددة بلا
ملم في حمامي.

13. ماذا أفعل بجفتك الآن؟ فقد نستمت،
وأريد أن أنام.

14. ابتعد قليلاً عن حمامي يا جثتي
العنيدة أريد أن أبول.

15. مدي يدك يا صغيرتي الميمته أريد أن
اسرق قرتك وأهديه لصديقتي التي لم
تنتحر بعد.

16. وواو، تذكرت كم هو جميل غياك
كثيراً وسيقولونك مرة أخرى، لن اتصل.

9. سأخبرك بما حدث منذ أنتحارك:
قبضت سلفة بالف شكل، أصعبت
برصاصة فلسطينية طائشة بقدمي.

محمود درويش أصدر كتاباً جديداً
اسمه: «في حضرة الغياب». لم
تتسمين؟

10. الآن عرفت لم كنت تحلمين
بفرجينيا وولف وهي تهديك حجراً
كبيراً وسليفيا بلات وهي تهديك فرناً
فاخراً؟ وبحثك المحموم في الأنترن

عن سيرة المنتحرات الجميلات، الآن
عرفت. لم كانت لفظة النسر تُرجف بدتك
وتشوش بومك.

11. بالمناسبة، أنا لم أسالك بعد لم
انتحرت؟ ألم تنفق على السفر إلى قصر
الحمراء في الأندلس لتعرف من أسود

20. سانبهض من نومي، لا لا لست أحلم،
هناك جثة في مكان ما لأمراة عزيزة على
قلبي. لكني لا أتذكر أين.